

الإنساحيون



محمد سمير الموصلي

مقدمة

الإنساحيوانية:

هي كلمة مركبة من مجموع كلمتين: الإنسانية والحيوانية.

فالإنسانية (Humanism) هي مجموعة من وجهات النظر الفلسفية والأخلاقية التي تركز على قيمة وكفاءة الإنسان، سواء كفرد أو كجماعة، تقوم الإنسانية عادةً على تفضيل العقلانية والتجريبية في تفسير الواقع واتخاذ المواقف الأخلاقية، بدلاً من الاعتماد على العقائد الثابتة أو الإيمانية المنزلة.

لقد تنوعت معاني مصطلح الإنسانية وتطورت عبر العصور، مما جعله أحياناً غامضاً أو ملتبساً. فقد تبنت حركات فكرية مختلفة المصطلح لتعريف نفسها رغم اختلاف أهدافها. وتشير الإنسانية في الفلسفة والعلوم الاجتماعية إلى اتجاه يؤكد على فكرة الطبيعة البشرية، على النقيض من "اللاإنسانية" أو المواقف التي تتجاهل قيمة الإنسان.

في الأدب اليوناني واللاتيني الكلاسيكي والفلسفة الأخلاقية، تعني المعلم أو الباحث العلمي بدأ مصطلح الإنسانية يشير إلى الفلسفات والأخلاق التي ترتبط بالإنسان، دون الاهتمام بأية مفاهيم إلهية، وذلك خلال الثورة الفرنسية، وقد تطورت الإنسانية الدينية كمنظمات دينية أكثر ليبرالية تهتم بشكل أكبر بالاتجاهات الإنسانية، تدمج الإنسانية الدينية الفلسفة الأخلاقية مع طقوس ومعتقدات بعض الديانات رغم أنها تبقى متمركزة حول الاحتياجات والاهتمامات والقدرات الإنسانية.

عرف البيان الإنساني الأول الذي تشكل رسمياً في جامعة شيكاغو 1933 عرف الإنسانية العلمانية بأنها أيولوجية تتبنى السببية والقيم الأخلاقية

والاجتماعية والعدالة بينما ترفض على وجه التحديد الأفكار الخارقة
والدينية كأساس للأخلاق؟

وفي العصر الحديث، تبنت العديد من الحركات الإنسانية توجّهًا علمانيًا،
أي فصل الدين عن الفكر العام، وركزت على حقوق الإنسان والعقل
كأدوات لتحقيق العدالة.

وقبل أن يرتبط المصطلح بالعلمانية، استخدمه المؤرخ الألماني وعالم
اللغويات جورج فروجر عام 1856 لوصف الحركة التي ازدهرت في
إحياء التعلم الكلاسيكي خلال النهضة الإيطالية.

أما كلمة "إنساني" فترجع أصولها إلى القرن الخامس عشر الميلادي،
حيث ارتبطت بدايةً بعلو شأن الإنسان وقدرته على التفكير والعمل.

أما الجانب الثاني من الكلمة، "الحيوانية"، فهو يُشير إلى ما هو غريزي،
بيولوجي، فطري، يشمل جميع الجوانب المتعلقة بكون الإنسان كائنًا حيًا
ينتمي للطبيعة ويشترك مع الحيوانات الأخرى في كثير من الصفات
والسلوكيات.

الإنساحيوانية إذن هي مفهوم مركّب يجمع بين الاعتراف بسموّ العقل
والكرامة الإنسانية (كما في الإنسانية)، وبين (الاعتراف بالجذر الحيواني
البيولوجي للإنسان) كما في الحيوانية.

إنها محاولة فلسفية لفهم الإنسان كوحدة متكاملة من العقل والجسد،
الروح والغريزة، دون إنكار لأيٍّ من الجانبين. الإنسان في نظر
"الإنساحيوانية" ليس ملاكًا منزّهًا عن المادة، ولا هو مجرد حيوان
تحركه الغرائز، بل هو مزيج معقّد من الوعي الحيواني والسموّ العقلي.

رحلة العقل والصراع الحيواني

من مركزية الأرض إلى مركزية الإنسان:

لطالما اعتقد الإنسان أن الأرض هي مركز الكون، وأن الشمس والنجوم والكواكب جميعها تدور حوله، كأنما خُلق الكون لأجله وحده.

حتى جاء كوبرنيكوس ليقلب هذا الاعتقاد رأساً على عقب، معلناً أن الشمس، لا الأرض، هي المركز الذي يدور حوله كل شيء.

ثم جاء جاليليو، حاملاً معه التلسكوب، ليؤكد بأدلة بصرية أن الكون أوسع وأكثر تعقيداً مما تخيل الإنسان، وليثبت الكثير من الحقائق التي زلزلت يقين العصور القديمة.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، إذ اكتشف فارون هوفر المطياف الشمسي، محلل الطيف الذي كشف للإنسان عن تركيب الكواكب والمجرات البعيدة بلايين الأميال، فأصبح الإنسان يرى ويحلل ما كان يبدو مستحيلاً من قبل.

وبرغم هذه القفزات الهائلة في العلم والمعرفة، لا يزال الإنسان يحمل في أعماقه ذلك القسم الحيواني، الذي لا يفارقه، بل يطل برأسه كلما أتاحت له الفرصة.

فإذا عدنا إلى بدايات الإنسان، نرى كائنًا بعقل محدود، يعيش في عالم ضيق وبسيط، غير قادر على التمييز بين الحي والميت، أو الجماد والكائن الحي.

إنه يقبل الأشياء دون تساؤل، لا يعرف حب الاستطلاع، ولا يشعر بمسؤولية تجاه أفعاله، تقاذفه العواطف والغرائز، عاجز عن التفكير

المنطقي، أقرب ما يكون إلى ابن عمه الشمبانزي، الذي عاش مثله يومًا ما، قبل أن يبدأ رحلة النزول من "الفردوس".

فالإنسان والشمبانزي ينحدران من أصل واحد، لكن الإنسان بدأ يختلف عنه، شيئًا فشيئًا، عبر التطور الذي باعد بينهما على مر العصور. ذلك التطور الذي جعله يرتقي بعقله وأخلاقه، دون أن يتخلص كليًا من صراعه الداخلي بين إنسانيته وعالمه الحيواني.

لقد مر الإنسان عبر مراحل تطورية معقدة:

. المرحلة الوحشية، حيث عاش على النباتات والحيوانات البرية، مستعملًا أدوات العصر الحجري.

. ثم المرحلة البربرية، حين بدأ الزراعة واستخدام الآلات المعدنية، وظهرت أولى أشكال الحياة الاجتماعية في القرى والحوضر.

. وأخيرًا، مرحلة الحضارة التي بدأت مع اكتشاف الكتابة، لحظة ميلاد التاريخ وتراكم المعرفة. [تايلر 1881: 1-18].

وبرغم كل هذه المراحل، لا تزال بذور الحيوانية حاضرة في الإنسان، تطل برأسها من حين لآخر.

فالإنسان والشمبانزي يشتركان في أصل واحد، لكن ما ميز الإنسان هو رحلة الوعي والتطور التي فصلته عن "ابن عمه"، رحلة استمرت آلاف السنين، كانت المعرفة والصراع الداخلي مع الذات حجر أساسها.

لقد بدأ الإنسان رحلته باستخدام الطبيعة لتلبية احتياجاته، لكنه ما لبث أن أعاد تشكيل الطبيعة نفسها، فصار خالقًا للثقافة، وبانيًا للمجتمعات، وصانعًا للفكر.

ومع ذلك، يبقى داخله ذلك الصراع الأزلي بين الإنساني والحيواني، بين العقل والغريزة، وهو ما يجعل رحلته لم تكتمل بعد.

الأشخاص القيايين

في المجتمعات البدائية، كان المرضى النفسيون أو الأفراد الذين يظهرون سلوكًا شاذًا عن المعايير الاجتماعية غالبًا ما يُنظر إليهم على أنهم يتمتعون بقوة خارقة أو روحية، مما يجعلهم في موقع خاص داخل المجتمع، هذا المفهوم يعكس كيفية تفسير هذه المجتمعات للاختلافات السلوكية والنفسية، وكيف يمكن أن تتحول هذه الاختلافات إلى أدوات للتغيير الاجتماعي أو الروحي.

تفسير الظاهرة:

1. المرضى النفسيون كمتنبئين ومصلحين:

في المجتمعات البدائية، حيث تلعب المعتقدات السحرية والروحية دورًا مركزيًا، يُنظر إلى السلوك الشاذ أو غير المألوف على أنه علامة على الاتصال بعالم آخر (عالم الأرواح أو الآلهة).

الأفراد الذين يعانون من حالات نفسية مثل الهلوسة أو الاضطرابات الذهنية قد يُعتقد أنهم يتلقون رسائل من القوى العليا، مما يجعلهم في موقع "المتنبئين" أو "الوسطاء الروحيين".

هؤلاء الأفراد قد يُعتبرون قادرين على تفسير الأحداث المستقبلية أو تقديم حلول لمشاكل المجتمع، مما يمنحهم دورًا كـ "مخلصين" أو "مصلحين".

2. كسر العادات القديمة:

الشخصية السيكوباتية أو الشاذة اجتماعيًا قد تكون أقل تقيّدًا بالعادات والتقاليد المقدسة، مما يمنحها الجرأة لتحدي الأوضاع القائمة.

في مجتمعات تعتمد على السحر والمعتقدات الثابتة، قد يكون هؤلاء الأفراد هم الوحيدون القادرون على اقتراح تغييرات جذرية أو تبني أفكار جديدة، خاصة عندما تصبح العادات القديمة غير مناسبة للواقع المتغير.

هذا يجعلهم أدوات للتجديد الاجتماعي أو الروحي، حيث يمكنهم كسر "طوق العادات" وإدخال أفكار أو ممارسات جديدة.

3. دور الاختلاف في التطور الاجتماعي:

هذه الظاهرة تظهر كيف يمكن أن يكون الاختلاف النفسي أو السلوكي مصدرًا للتجديد والتغيير في المجتمعات.

في المجتمعات الحديثة، قد يُنظر إلى الأفراد الذين يعانون من اضطرابات نفسية على أنهم بحاجة إلى علاج، ولكن في المجتمعات البدائية، كان يُنظر إليهم أحيانًا كمصدر للإلهام أو القيادة الروحية.

أمثلة تاريخية:

في العديد من الثقافات القديمة، كان الشامان أو الكهنة غالبًا ما يُعتقد أنهم يعانون من حالات نفسية أو روحية خاصة تمنحهم القدرة على التواصل مع العالم الآخر.

في بعض القبائل الأفريقية أو الأمريكية الأصلية، كان الأفراد الذين يعانون من نوبات صرع أو هلوسة يُعتبرون مميزين ويُمنحون أدوارًا قيادية أو روحية.

في المجتمعات الحديثة، قد ننظر إلى هذه الظاهرة كمصدر إلهام لإعادة تقييم كيفية تعاملنا مع الاختلافات النفسية والسلوكية، وكيف يمكن أن تساهم هذه الاختلافات في إثراء المجتمع.

بين العقل والغريزة

ذكاء الإنسان الحديث:

في عصر التكنولوجيا والعلوم المتقدمة، يبدو الإنسان وكأنه تخطى حدود الطبيعة، حيث أصبح قادرًا على استكشاف الفضاء، تحرير الشفرة الوراثية، وخلق ذكاء اصطناعي يتحدى قدراته العقلية، ومع ذلك، رغم كل هذا التطور، لا يزال الإنسان في صراع دائم مع غرائزه الأساسية، التي تشكل جزءًا لا يتجزأ من طبيعته البيولوجية والنفسية، فكيف يتفاعل ذكاء الإنسان مع غرائزه، ولماذا تتغلب الغرائز أحيانًا على العقل؟

1- الذكاء البشري: قمة التطور المعرفي

ذكاء الإنسان هو نتاج ملايين السنين من التطور، حيث تطورت لديه القدرة على التفكير المجرد، حل المشكلات المعقدة، والإبداع. هذا الذكاء مكّنه من بناء حضارات، تطوير لغات معقدة، وخلق فنون وآداب تعبر عن مشاعره وأفكاره، الذكاء البشري ليس مجرد قدرة على التعلم، بل هو أيضًا قدرة على التكيف مع البيئات المختلفة، مما جعله الكائن الأكثر هيمنة على كوكب الأرض.

2- الغرائز: الجذور العميقة للطبيعة البشرية

رغم التطور الكبير في الذكاء البشري، تظل الغرائز جزءًا أساسيًا من تكوينه، الغرائز هي سلوكيات فطرية تهدف إلى ضمان بقاء الإنسان وتكاثره، مثل غريزة البقاء، الجوع، الخوف، والرغبة في التزاوج، هذه الغرائز كانت ضرورية في الماضي للبقاء في بيئات خطيرة، ولكنها في العصر الحديث قد تظهر بشكل مختلف، وأحيانًا تتعارض مع العقل.

3- الصراع بين العقل والغريزة

في كثير من الأحيان، يتصرف الإنسان بشكل لا يعكس ذكاءه، بل يعكس غرائزه، على سبيل المثال:

- . **الاستهلاك المفرط:** رغم معرفة الإنسان بمخاطر الإفراط في الاستهلاك على البيئة وصحته، إلا أن غريزة الجمع والرغبة في الوفرة تدفعه لشراء ما لا يحتاج، يتغذى هذا السلوك على الإعلانات والثقافة الاستهلاكية التي تربط السعادة بالامتلاك، مما يؤدي إلى دورة لا تنتهي من الشراء والاستهلاك غير الضروري.
- . **العنف والعدوانية:** رغم تطور الأخلاق والقوانين، لا يزال العنف موجودًا بسبب غريزة البقاء والتنافس، مثل الدفاع عن النفس أو السعي للسيطرة والهيمنة، ومع أن الحضارة سعت لتقنين هذه النزعات وضبطها بالعقل والأخلاق، إلا أن جذورها الغريزية لا تزال تظهر في صور متعددة، سواء في النزاعات الشخصية أو الحروب أو حتى في المنافسة الاقتصادية والاجتماعية.
- . **اتخاذ قرارات عاطفية:** غالبًا ما يتأثر الإنسان بعواطفه عند اتخاذ القرارات، خصوصًا في العلاقات الشخصية والمواقف الاجتماعية. فقد تدفعه مشاعر الحب أو الغضب أو الخوف إلى التصرف بطريقة اندفاعية أو غريزية دون تفكير عقلائي أو تقدير كامل للعواقب. ويرجع ذلك إلى الطبيعة البشرية التي تميل إلى الاستجابة الفورية للمؤثرات العاطفية قبل تدخل المنطق، مما يجعل قرارات الإنسان مزيجًا من العاطفة والعقل. ومع أن التفكير الواعي يساعد على التوازن، إلا أن الغرائز والعواطف تظل جزءًا أساسيًا من تكوين السلوك الإنساني.

4 لماذا تتغلب الغرائز أحيانًا؟

الغرائز تتغلب على العقل في بعض الأحيان لأنها:

. أسرع استجابة: الغرائز تعمل بشكل تلقائي وسريع، بينما التفكير العقلاني يتطلب وقتًا وجهدًا.

. مرتبطة بالعواطف: الغرائز غالبًا ما تكون مصحوبة بمشاعر قوية مثل الخوف أو الرغبة، مما يجعلها أكثر تأثيرًا.

. مُبرمجة بيولوجيًا: الغرائز جزء من التركيبة البيولوجية للإنسان، وقد تكون أقوى من الأفكار المكتسبة.

5- كيف يمكن للإنسان التغلب على غرائزه؟

رغم قوة الغرائز، يمكن للإنسان استخدام ذكائه للسيطرة عليها من خلال:

. التوعية والتعليم: فهم الغرائز وكيفية تأثيرها يمكن أن يساعد في التحكم بها.

. التأمل والتفكير: إعطاء النفس وقتًا للتفكير قبل التصرف يمكن أن يقلل من تأثير الغرائز.

. تطوير الأخلاقيات: تعزيز القيم الأخلاقية يمكن أن يوازن بين الغرائز والعقل.

ذكاء الإنسان هو أعجوبة تطورية، ولكن غرائزه تذكره بأنه جزء من الطبيعة، الصراع بين العقل والغريزة هو جزء من التجربة الإنسانية، والتوازن بينهما هو ما يجعل الإنسان كائنًا فريدًا، في النهاية، التحدي الأكبر للإنسان ليس التغلب على غرائزه تمامًا، بل فهمها وإدارتها بشكل يسمح له بالعيش في تناغم مع طبيعته ومع العالم من حوله.

ذكاء الإنسان، بقدرته على التخطيط والتحليل، يمكن أن يُستخدم لتحقيق غرائزه بطرق معقدة ومتطورة، أحيانًا على حساب القيم الإنسانية أو الأخلاقية.

الذكاء في خدمة الغرائز

عندما يبتعد الإنسان عن إنسانيته:

1- الذكاء كأداة لتحقيق الغرائز

الغرائز البشرية، مثل الرغبة في البقاء، التملك، السلطة، أو التكاثر، هي دوافع قوية، ومع تطور الذكاء البشري، أصبح الإنسان قادرًا على استخدام عقله لتلبية هذه الغرائز بطرق معقدة ومتطورة، تتجاوز الحدود البسيطة التي تفرضها الطبيعة، على سبيل المثال:

. **الرغبة في التملك:** يمكن للإنسان أن يستخدم ذكائه لبناء أنظمة اقتصادية معقدة تمكنه من تجميع الثروة بشكل غير مسبوق، حتى لو كان ذلك على حساب الآخرين أو البيئة.

. **الرغبة في السلطة:** يمكن أن يُستخدم الذكاء في التخطيط الاستراتيجي للسيطرة على الآخرين، سواء عبر السياسة، الحرب، أو التلاعب النفسي.

. **الرغبة في البقاء:** يمكن أن يُستخدم الذكاء في تطوير تكنولوجيات متقدمة لتحسين الصحة وإطالة العمر، حتى لو كانت هذه التكنولوجيات غير متاحة للجميع.

2- ابتعاد الذكاء عن الإنسانية

عندما يُستخدم الذكاء لتحقيق الغرائز بشكل مفرط، يمكن أن يبتعد الإنسان عن قيمه الإنسانية، هذا الابتعاد قد يتجلى في:

- . **الأنانية:** التركيز على تحقيق الرغبات الشخصية دون اعتبار لاحتياجات الآخرين.
- . **التلاعب:** استخدام الذكاء للتأثير على الآخرين أو استغلالهم لتحقيق مكاسب شخصية.
- . **التدمير:** استخدام الذكاء في تطوير أسلحة أو تقنيات قد تدمر البيئة أو تسبب معاناة للبشر.

3- أمثلة من الواقع

- . **الاستغلال الاقتصادي:** الشركات الكبرى التي تستخدم الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات لزيادة أرباحها، حتى لو كان ذلك على حساب العمال أو المستهلكين.
- . **الحروب التكنولوجية:** تطوير أسلحة متطورة تسبب دمارًا هائلًا، بدافع السيطرة أو الخوف.
- . **التلاعب بالرأي العام:** استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والخوارزميات للتأثير على آراء الناس وسلوكياتهم لأغراض سياسية أو تجارية.

4- لماذا يحدث هذا؟

- السبب وراء استخدام الذكاء لتحقيق الغرائز بشكل غير إنساني يعود إلى:
- . **ضعف الضوابط الأخلاقية:** عندما لا تكون هناك قيم أخلاقية قوية تحكم استخدام الذكاء، يمكن أن يتحول إلى أداة للأنانية.
 - . **التركيز على المكاسب قصيرة المدى:** الإنسان قد يركز على تحقيق رغباته الفورية دون النظر إلى العواقب طويلة المدى.
 - . **التنافس:** في عالم يعتمد على المنافسة، قد يدفع الإنسان إلى استخدام ذكائه بطرق غير أخلاقية للتفوق على الآخرين.

5-كيف يمكن تحقيق التوازن؟

لضمان أن يظل الذكاء في خدمة الإنسانية وليس ضدها، يمكن اتباع عدة استراتيجيات:

- . تعزيز الأخلاقيات: تعليم الأفراد والمجتمعات أهمية القيم الإنسانية في استخدام الذكاء.
- . وضع قوانين صارمة: تنظيم استخدام التكنولوجيا والذكاء لضمان عدم استغلالها بشكل ضار.
- . التفكير طويل المدى: تشجيع الأفراد والمؤسسات على النظر إلى العواقب البعيدة لأفعالهم.

الخاتمة

ذكاء الإنسان هو أعجوبة تطورية مكنته من تحقيق إنجازات غير مسبوقة في مجالات العلم، الفن، والتكنولوجيا. ومع ذلك، تظل غرائزه جزءًا لا يتجزأ من طبيعته، تدفعه أحيانًا إلى سلوكيات قد تتعارض مع قيمه الإنسانية. الصراع بين العقل والغريزة هو جزء من التجربة الإنسانية، ويعكس التناقض بين التطلعات العقلانية والاحتياجات البيولوجية.

في عصرنا الحديث، حيث يتمتع الإنسان بقدرات هائلة على التخطيط والتحليل، أصبح من السهل استخدام الذكاء لتحقيق الغرائز بطرق معقدة، قد تبتعد أحيانًا عن الأخلاق والإنسانية. ومع ذلك، فإن التحدي الحقيقي يكمن في كيفية تحقيق التوازن بين هذه القوى المتعارضة. يجب على الإنسان أن يستخدم ذكائه ليس فقط لتحقيق رغباته، ولكن أيضًا لتعزيز قيمه الإنسانية، مثل التعاطف، العدل، والمسؤولية الاجتماعية.

في النهاية، القوة الحقيقية للإنسان لا تكمن في ذكائه أو غرائزه بشكل منفصل، بل في قدرته على الجمع بينهما بشكل متوازن. عندما يتمكن الإنسان من فهم غرائزه وإدارتها بذكاء، يمكنه تحقيق تقدم حقيقي دون أن يفقد إنسانيته. هذا التوازن هو ما يجعل الإنسان كائنًا فريدًا، قادرًا على خلق عالم أفضل لنفسه وللأجيال القادمة.

الفهرس

2- مقدمة

4- رحلة العقل والصراع الحيواني

6- الأشخاص القياديين

8- بين العقل والغريزة

11- الذكاء في خدمة الغرائز

14- الخاتمة
